

الأسماء الثلاثة للإله، الرب، والعبادة

(67) الأسماء و الصفات للبيهقي وهو من أنفس ما كتب في هذا الموضوع، و قد اشتمل بإيجازه على عقائد ابن تيمية و نقده بالعرض على الكتاب والسنة غير أن أنصار الحشوية، عمدوا في الآونة الأخيرة إلى إبعاد الكتاب عن متناول الطالبين فطبعوا كتاب البيهقي مجرداً عن هذا التقديم. مع أنّه لا يقلُّ عن ذيه لولم نقل إنّه يزيد عليه وزناً و قيمة. فقد أفاض الكلام في معنى العبادة على وجه دقيق نقتبس منه ما يلي: إنَّ الغلط في تفسير العبادة، المزلةُ الكبرى والمزلةُ العظمى، التي أُستحلت بها دماءٌ لا تحصى، وانتهكت بها أعراض لا تعد، وتقاطعت فيها أرحام أمر الله بها أن توصل، عياداً بالله من المزالق والفتن. ولا سيما فتن الشبهات. فاعلم أنَّهُم فسروا العبادة باللاتيان بأقصى غاية الخضوع، و أرادوا بذلك المعنى اللغوي، أمّا معناها الشرعي فهو أخصُّ من هذا كما يظهر للمحقِّق الصِّبَّار على البحث من استقراء مواردها في الشرع، فإنَّه اللاتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً، باعتقاد ربوبية المخضوع له، فإن انتفى ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهري من العبادة شرعاً، في كثير ولا قليل مهما كان المأتي به و لو سجوداً. ومثل اعتقاد الربوبية اعتقاد خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنعف و الضر، و كنفوذ المشيئة لا محالة و لو بطريق الشفاعة لعابده عند الربِّ الذي هو أكبر من هذا المعبود. و إنَّما كفر المشركون بسجودهم لآوثانهم و دعائم إيَّاهم، وغيرهما من أنواع الخضوع لتحقِّق هذا القيد فيهم، و هو اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، أو خاصة من خواصها كما سيأتيك تفصيله. و لا يصحُّ أن يكون السجود لغير الله فضلاً عمّا دونه من أنواع الخضوع بدون هذا الاعتقاد، عبادة شرعاً (كسجود الملائكة لآدم)، فإنَّه حينئذٍ يكون كفراً و ما هو كفر فلا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يأمر الله عزَّ وجلَّ به "قُلْ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ" (الاعراف|28) "وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ" (الزمر|7) و ذلك ظاهر إن شاء الله. و ها أنت ذا تسمع الله تعالى قد قال للملائكة: "اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا